موقف المبرد من اللغة الشعرية
في العصر العباسي

الأستاذة: وهيبة بن حدو
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

إن الشعر مصدر من مصادر الدرس اللغوي منذ توجه العلماء إلى تقعيد اللغة ووضع ضوابطها لمتعلّميها، ولقد ظلّ الشعر العربي حتى أوائل القرن الثاني صحيحا قوي العبارة جزل التراكيب، تغلب عليه روح البداوة القديمة في المنهج والصياغة والمعنى والخيال.

وبقيام الدولة العباسية في أوائل القرن الثاني أخذت الحياة العربية تبتعد تدريجيا عن البداوة وتدنو من الحضارة، وظهر في القرن الثاني طائفة من الشعراء تأثّروا أكثر من غيرهم بمظاهر الحضارة العباسية الجديدة وعرفوا بالشعراء المحدثين.

هؤلاء الشعراء ثاروا على القديم الموروث، ولما كان القدماء قد سبقوهم إلى كل شيء في الشعر، من حيث فنونه ومعانيه وأساليبه، فإنهم قصدوا تجديدهم على ديباجة الشعر وصياغته، وعلى التعبير عن بعض النزعات والرغبات المكبوتة التي وجدت في روح التسامح والتعاطي السائدة في المجتمع العباسي منطلقا لها.

فالشعر المولّد اقتضته الظروف الاجتماعية والفكرية والذوقية في ذلك الزمان، فاصطنع بصبغة جديدة مختلفة في جل مظاهرها عن العصر السابق، بفضل النمط العقائدي والأخلاقي والفكري الذي أملاه الإسلام، وبفضل الاحتكاك بالأمم المجاورة ذات الحضارات والمدنيات المختلفة، فكان أن عزل المجتمع الجديد عن البداوة، وهجر أسلوب اللغة البدوية الوحشية والغريبة.

وفي النصف الأول من القرن الثاني ظهر موقف اللّغويين من لغة الشعر، واتخذ اتجاهين: أحدهما متشدد في قبول أساليب الشعر واستعمال الشعراء، فإذا سمع ما يخالف الأقيسة التي وضعها من سماعه لغة العرب اعترض عليه دون النظر إلى قائله أو مصدره، وممن يمثل هذا الاتجاه ابن أبي إسحاق واعتراضاته على الفرزدق وتخطئته إياه وهو شاعر فصيح[1].

أما ثانيهما فكان أكثر قبولا لأساليب كلام العرب، وكان على رأس هذا الاتجاه أبو عمرو بن العلاء، فعلى الرغم من التزامه بالفصيح وحبه للقديم كان أكثر ميلا إلى الاطّلاع

على ما يقوله معاصروه من الشعراء، وله آراء كثيرة في معاصريه، منها قوله: "لو أدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا"[2].

لقد كان الصراع قائما بين اللّغويين والشعراء، فاللّغويون والنحويون خاصة أصحاب قواعد وضوابط وقياس، أما الشعراء فهم مبدعون لا يبالون في كثير من الأحيان بما يقتضيه القياس فيجاوزون في استعمالاتهم أقيسة النحويين، فالشعر استعمال خاص للغة، والشعراء كما قال الخليل: "أمراء الكلام يصرفونه أنى شاؤوا ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ"[3].

وفي القرن الثالث، عصر المبرد، استمر الصراع قائما بين القديم والمحدث على الرغم من أن قضية الاستشهاد بالشعر في مجال النحو قد حسمت، فقصر الاستشهاد على الشعر الجاهلي والإسلامي حتى منتصف القرن الثاني، وكان مدار هذا الصراع لغة الشعر وموقف اللّغويين من الأساليب الجديدة والألفاظ المستحدثة والصور والمعاني التي جدت لدى شعراء الحداثة آنذاك،فالشعر العربي لم يتوقف عن التطور والتغير في لغته وأساليبه بعد ذلك التحديد، على الرغم من موقف اللّغويين المتعصبين للقديم خاصة من هذا التطور، فهذا معاصر المبرد وزميله أحمد بن يحيى ثعلب لا يروي شعر أبي تمام كراهية له[4].

وكان ابن الأعرابي وهو أحد كبار أئمة اللغة يقول: "إنما أشعار المحدثين، مثل أبي نواس وغيره، مثل الريحان يشم يوما ويذوي فيلقى به، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا"[5]، وقد قال عندما أنشد شعرا لأبي تمام: "إن كان هذا شعرا فما قالته العرب باطل"[6]. فطعن القدماء على المحدثين يتلخص في أمور ترجع إلى الصياغة، وإخلالهم بطرق التعبير القديمة، فقد خرجوا عليها، وغالوا في البديع، وأسرفوا في استخدامه وتكلف ألوانه.

بينما وجدنا علماء آخرين ينظرون بعين الإنصاف إلى الشعر قديمه وحديثه، ويرون أن النظر في الشعر يتطلب آلة وعدة، وليس معيار القدم والحداثة بقادر على توفير معيار لتمييز الجيد من الرديء، لأن الجيد ليس له عصر، وليس مقتصرا على جيل دون جيل. من هؤلاء العلماء نذكر الجاحظ الذي قال: "والقضية التي لا أحتشم منها، ولا أهاب الخصومة، فيها: أن عامة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب أشعر من عامة شعراء الأمصار والقرى، من المولدة والنابتة وليس ذلك بواجب لهم في كل ما قالوه.

وقد رأيت ناسا منهم (من العلماء) يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها، ولم أر ذلك قط إلا في راوية للشعر غير بصير بجوهر ما يروي، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان، وفي أي زمان كان."[7].

وقال في أبي نواس: "ما رأيت رجلا أعلم باللغة من أبي نواس، ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة للاستكراه، وكان للمولدين كامرئ القيس للمتقدمين"[8].

لقد كان الجاحظ أشجع من وقف بين القديم والحديث، كما وصفه إحسان عباس، في رأيه بأبي نواس وتفضيله أبياتا له على شعر المهلهل في الشاعرية[9].

وقال ابن قتيبة من بعده: "... ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقديمه وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلاحظه، ووفرت عليه حقه"[10].

وقوله هذا رد فعل لما شاع بين علمائه ومن تلقى عنهم، حيث كانوا يستجيدون الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعونه في متخيرهم، ويرذلون الشعر الرصين ولا عيب فيه عندهم إلا أنه قيل في زمانهم وأنهم رأوا قائله، ثم قال ابن قتيبة: "ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده"[11].

كل هذه الآراء كانت وراء اندفاع المبرد للاطلاع على شعر المحدثين إلى جانب الشعر القديم الذي كان أحد مصادر الدرس اللغوي إلى جانب القرآن الكريم وكلام العرب، واطلاعه على الشعر المحدث لتأثره بالعصر ومراعاته كان يدفعه إليه أيضا صلته بمجالس الأدب في بغداد وما كان يدور فيها من حديث وجدل حول شعر المحدثين واختلاف النظر إليه ثم صلته الخاصة بابن المعتز والبحتري وابن المعذل وغيرهم من الشعراء المحدثين أو ممن مال إلى الشعر المحدث ورواه.

وكان ابن المعتز ممن ينحاز لأبي تمام وشعر المحدثين مخالفا شيخه ابن الأعرابي المتعصب للقديم، وقد روى الصولي في كتابه أخبار أبي تمام وأخبار البحتري نوادر في ذلك، وفوق كل ذلك المنافسة القائمة بين المبرد وثعلب شيخ الكوفيين، وهو شيخ عصره في اللغة والنحو كما وصفه الصولي[12]، فأن يظهر المبرد في هذا الجو بمظهر غير العارف بشعر شاعر كبير كأبي تمام أو البحتري أو غيرهما من المحدثين في موقف الرأي والجدل، كل ذلك دفعه إلى الاطلاع على شعر المحدثين، وكان اطلاعه اطلاع عالم دافعه الإنصاف في الحكم ووراء كل ذلك تلك النزعة القديمة لديه إلى الشعر وتجربته التي لم تمت عنده، وإنما عبرت عن

نفسها في مجال البحث والدرس والتأليف بعد أن انسحبت من مجال الإبداع الشّعري فاتجهت نحو الاعتراف بإبداع الشعراء.

وقد كان المبرد من كبار علماء القرن الثالث، وكانت حلقات درسه عامرة بالمتلقين لعلوم العربية، وكان الشعر واحدا من مصادر النحو المهمة، لكن الشعر الذي اتخذ مصدرا للتقعيد قد حدد زمانه ومكانه إلى منتصف القرن الثاني للهجرة في مواطن الفصاحة، ولم يتخذ شعر ما بعد هذا التأريخ مجالا للاستشهاد النحوي بدءا من بشار بن برد ومن معه ومن بعده من الشعراء المحدثين المولودين في العصر العباسي.

حاول المبرد الاتصال بالشعر المحدث بما لا يؤثر في موقفه النحوي في الاستشهاد بالشعر فعني به من حيث المعاني المولدة والصور البديعية والإشارات والرصف، وكان موقفه منه موقفا توفيقيا جامعا بين القديم والحديث كأستاذه الجاحظ وصديقه ابن قتيبة، ولقد عرف هذا القرن بالنظرة التوفيقية المنصفة، لاتصاف العلماء فيه بالتأمل النزيه والتروي السديد، ولما توفرت لهم من استعداد وثقافة استفادوا منها أيما فائدة فراحوا يعطون لكل حقه بغير اعتبار العامل الزمني. وهذا يخالف رأي صاحب العقد الفريد عندما صرح بأن الصلة بين المبرد والشعر المحدث لا تتجاوز مجال العطف، وأن المبرد كان مغلوبا بروح العصر مساقا بقوتها، وأنه لم يعتمد ذوقا متميزا في الاختيار وإنما كان يتستر وراء الموضوع[13].

واهتمام المبرد بالشعر المحدث كان في مجالين:

أولهما: تدريسه إياه لطلبته، فلقد اتخذ المبرد شعر المحدثين أصلا من أصول ما يدرسه لتلامذته مع القديم وهو على منهجه في النحو وأصوله في مجال الاستشهاد لكنه لم يستطع الابتعاد عن واقع الشعر، مثال ذلك أنه شرح قصيدة لأبي نواس[14]، كما أكثر من تحليل النصوص المحدثة في كتابه: الكامل، والفاضل، والتعازي والمراثي، وكتب في مقدمة كتابه (الكامل) وهي مقدمة موجزة جدا، أنه لا يتحيز لعهد دون عهد، ولا لشاعر دون شاعر، وإنما يختار ما يقع في حفظه (من خطبة شريفة، ورسالة بليغة)[15]، فليس يعنيه لأي خطيب اختار ولا لأي كاتب انتخب، وإنما الذي يعنيه أن تكون الخطبة شريفة والرسالة بليغة، ثم يصرح عن رأيه بعد قليل: (وليس لقدم عهد يفضل القائل، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب، ولكن يعطي كل ما يستحق"[16]، وقال في موضع آخر: "قال بعض المحدثين وليس بناقصه حظه من الصواب أنه محدث"[17].

ثانيهما: أنه أدخل الشعر المحدث في مصنفاته بل قصر عليه كتابا مستقلا وهو كتاب الروضة، ذكر في كتاب ياقوت[18]، وقال عنه ابن الأثير إنه: "كتاب جمع فيه أشعار شعراء عصره بدأ فيه بأبي نواس ثم بمن كان في زمانه وانسحب على ذيله"[19].

وهكذا شارك المبرد في توجيه نظر النقاد والقراء إلى مبدإ الإجادة، وإلى أن مبدأ القدم ليس كافيا بذاته، بل مدار التقييم هو النص دون أي اعتبار للزمن الذي كتب فيه أو لكاتبه

وقد أدى أخذه بهذا المبدإ إلى أن يلاحظ العصرية وأهميتها من حيث إنها تكشف عن أذواق الناس واهتماماتهم وإلى أنها بالتالي تضمن قيمة شعرية لا يجوز إهمالها، وبهذه النظرة كان يختار أشعار المحدثين أو المولدين مسوغا اختياره بأنها "حكيمة مستحسنة يحتاج إليها

للتمثل، لأنها أشكل للدهر"[20]، أي لأنها أكثر التصاقا بالحياة وتعبيرا عنها من الشعر القديم، وأضاف "ويستعار من ألفاظها في المخاطبات والخطب والكتب"[21]، فهو يهدف إلى غاية عملية وهي خدمة طبقة المتعلمين وخاصة من يهيئون أنفسهم لمستوى بلاغي من فئة الكتاب[22].

لم يهمل المبرد عصره ليتعلق بالقديم فقط، فهو من اللّغويين الأوائل الذين وقفوا من التطور الشعري موقف القبول[23]، مراعين العصر، لقد كان رأيه في هذا الشعر المعاصر له رأيا لغويا واعيا لأساليب الكلام قابلا تطور الشعر وأساليبه ولغته لارتباط ذلك بتغير العصر، قال في ذلك: "وقصدنا في وقتنا هذا لذكر مراث من أشعار المحدثين لننزل بها من خشونة أشعار القدماء إلى لطف المولدين لمشاكلة الدهر وملاحة القول لنمضي من ذلك شيئا"[24].

وهذا يؤكد أنه كان يفضل الشعر القديم لجزالته وسلاسته، وبما فيه من الشاهد في اللغة والنحو، ويفضل الشعر المحدث لعذوبة ألفاظه، وحلاوة معانيه، وشدة ارتباطه.

وقبول المبرد للشعر المحدث لا يعني أنه أغمط القديم حقه بل كان يجله ويقدره، جاء في الكامل حين كان يقارن بين تشبيهات القدماء وتشبيهات المحدثين قوله: "ومن عجيب التشبيه في إفراط غير أنه خرج في كلام جيد وعني به رجل جليل فخرج من باب الاحتمال إلى الاستحسان ثم جعل لجودة ألفاظه وحسن رصفه واستواء نظمه في غاية ما يستحسن"[25]، قول النابغة يرثي "حصن بن حذيفة"[26]:

يَقُولُ حِصْنٌ ثُمَ تَأْبَى نُفُوسُهُمْ وَكَيْفَ يَحْصُنُ وَالجِبَالُ جُنُوحُ

وَلَمْ تَلْفَظِ المَوْتَ القُبُورُ وَلَمْ تَزَلْ نُجُومُ السَّمَاءِ وَالأَدِيمُ صَحِيحُ

فَعَمَّا قَلِيلٍ ثَمَ جَاءَ نَعْيُهُ فَظَلَّ نَدَى الحَيِّ وَهُوَ يَنُوحُ

فقد وصف النابغة في هذه الأبيات بالرجل الجليل، ووصف أبياته بالجودة والحسن وهذا التقدير لا يمنحه للمحدثين وإنما يقول: "ثم نذكر طرائف من تشبيه المحدثين وملاحتهم فقد شرطناه في أول الباب"[27].

والمبرد مع ذلك حاول أن يكون منصفا في نظرته و"لا بد أن نعذر المبرد إذا هو مال لا شعوريا، نحو القديم، لأنه صلب ثقافة نحوي لغوي من طرازه"[28]. كما قال إحسان عباس ولأنه كان بصريا، وذوق البصريين يميل إلى الجزالة والقوة والرصانة.

إن اشتغال المبرد بشعر المحدثين واستحسان الكثير منه عند عمارة بن عقيل الذي قيل فيه: "ختمت الفصاحة في شعراء المحدثين بعمارة"[29]. وصف شعره مرة فقال: "ألا ترى كيف يفضل قول عمارة على قرب عهده:

تَبَحَّثْتُمْ سُخْطِي فَغَيَّرَ بَحْثُكُمْ نَخِيلَةُ نَفْسٍ كَانَ نُصْحاً ضَمِيرُهَا
وَلَنْ يلْبثَ التَّحْشِينُ نَفْساً كَرِيمَةً عَرِيكَتُهاَ أَنْ يَسْتَمِرَّ مَرِيرُهاَ
وَماَ النَّفْسُ إِلاَّ نُطْفَةٌ بِقَرَارَةٍ إِذاَ لَمْ تُكَدَّرْ كَانَ صَفْواً غَدِيرُهاَ.

فهذا كلام واضح، وقول عذب"[30].

فهذان مقياسان للشعر المفضل عند المبرد (الوضوح والعذوبة)، ولكن فيه أمرين آخرين، فهو شديد الشبه بالشعر الجاهلي من جهة، ومن جهة أخرى هو شعر حكيم يتفق مع الغرض الذي كان يختار المبرد من أجله أشعار هؤلاء المولدين، وهو يصرح بهذا الغرض، فهي أشعار حكيمة مستحسنة.

وكذا إعجابه بابن مناذر وقوله فيه وفي شعره: "فإنه كان رجلا عالما مقدما وشاعرا مفلقا، وخطيبا مصقعا، وفي دهر قريب، فله في شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه، وحلاوة كلام المحدثين بعصره ومشاهدته، ولا يزال قد رمى في شعره بالمثل السائر، والمعنى اللطيف واللفظ الفخم الجليل، والقول المتسق النبيل"[31].

واستحسانه شعر أبي نواس خاصة قوله[32]:

لاَ أَذُودَ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ المُرَّ مِنْ ثَمَرِهْ

وتعليقه عليه بقوله: "فمثل هذا لو تقدم لكان في صدور الأمثال"[33].

واستشهاده بشعر أبي تمام في كثير من مواضع من كتابه الكامل، وتمثله به، للمقارنة بغيره أو لنقده يدل على "خبرته بهذا الشعر وتفهمه إياه"[34]، حتى إنه كان يفضل أحيانا على غيره معللا سبب تفضيله، من ذلك قوله: "وقال ابن أبي عيينة:

ماَ راَحَ يَوْمٌ عَلَى حَيٍّ وَلاَ ابْتَكَراَ إِلاَّ رَأَى عِبْرَةً فيهِ إِنِ اعْتَبَرَا
وَلاَ أَتَتْ ساَعَةٌ فِي الدَّهْرِ فَانْصَرَمَتْ حَتَّى تُؤَثِّرَ فِي قَوْمٍ لَهاَ أَثَرَا
إِنَّ اللَّيَالِيَ وَالأَيَّامَ أَنْفُسَهَا عَنْ غَيْرِ أَنْفُسِهَا لَمْ تَكْتُمِ الخَبَرَا

فأخذ هذا المعنى حبيب بن أوس الطائي وجمعه في ألفاظ يسيرة فقال:

عَمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ وَإِنَّهُ لَمِنْ العَجَائِبِ ناَصِحٌ لاَ يُشْفِقِ

فزاد بقوله "ناصح لا يشفق" على قول ابن أبي عيينة شيئا طريفا، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام[35]، وهكذا فقد وصف المبرد أبا تمام بالطرافة والحذق في الكلام.

وروى الصولي أن المبرد كان في مجلس ابن المعتز و"جرى ذكر أبي تمام فلم يوفه حقه وكان في المجلس رجل من الكتاب... ما رأيت أحفظ لشعر أبي تمام منه فقال له يا أبا العباس ضع في نفسك من شئت من الشعراء ثم انظر أيحسن أن يقول مثل ما قاله أبو تمام، وقرأ أبياتا من قصيدته: ❖ شَهِدْتُ لَقَدْ أَقوتُ مَغَانِيكُمْ بَعْدِي❖

فقال أبو العباس المبرد: "ما سمعت أحسن من هذا قط ما يهضم هذا الرجل إلا أحد رجلين: إما جاهل بعلم الشعر ومعرفة الكلام وإما عالم لم يتبحّر شعره ولم يسمعه"[36].

قال ابن المعتز: "وما مات إلا وهو منتقل عن جميع ما كان يقوله مقرّ بفضل أبي تمام وإحسانه"[37].

وقال المبرد يصف شعر أبي تمام أن له: "استخراجات لطيفة ومعاني طريفة[38]، وأنه "غائص يخرج الدرر"[39].

كما روى الصولي قول المبرد عن أبي تمام والبحتري: "واللّه إنّ لأبي تمام والبحتري من المحاسن ما لو قيس بأكثر شعر الأوائل ما وجد فيه مثله"[40]، وفي هذه الشهادة الصادرة عن إمام في العربية والنحو، كالمبرد، "شهادة بتفوق المحدث على القديم"[41].

وإعجاب المبرد بأبي العتاهية وغيرهم كل ذلك لم يؤثر في موقف المبرد اللغوي من الألفاظ وأبنيتها وخصائص فصاحتها ومن الأساليب وصورها، ومن تشدده في القياس حتى أصبح ينازع السماع في الأهمية اللغوية لديه، فالنصوص التي تخرج على القياس المطرد نعني أنها خرجت على الأسلوب في الاستعمال وتركيب الجملة المألوفة لدى العرب، ويعني هذا أيضا إصابة قرائنه النحوية أو البنية الصوتية أو الصرفية بالخلل، وبهذا لا تصل التراكيب إلى غاياتها من

المعاني، أي يسودها الغموض والتشويش، ومن الصعب على النحوي أن يتهاون في خروج الأساليب أو التراكيب اللغوية على القياس المطرد[42].

وبهذا القياس أيضا أخضع شعر المحدثين إلى تحليله وأحكامه على الرغم من قبوله واستحسانه وإدخاله في مصنفاته وشرحه لتلامذته، قال في أبي العتاهية: "كان أبو العتاهية مع اقتداره في قول الشعر وسهولته عليه يكثر عثاره، وتصاب سقطاته، وكان يلحن في

شعره، ويركب جميع الأعاريض، وكثيرا ما يركب ما لا يخرج من العروض إذا كان مستقيما في الهاجس، فمما أخطأ فيه قوله: وَلَرُبَماَ سُئِلَ البَخِيلُ الشَّيْءَ لاَ يَسوِي فَتِيلاَ.

لأن الصواب لا يساوي، لأنه من ساواه يساويه"[43]، فقد خطأه في استعمال صيغة الفعل ودلالته.

وكذا خطأ محمد بن يسير في صيغة مصدر ودلالته في قوله:

وَلَوْ قَنِعْتُ أَتَانِي الرِّزْقُ فِي دَعَةٍ إِنَّ القُنُوعَ الغِنيَ لاَ كَثْرَةُ المَالِ

"لأن القنوع إنما هو السؤال والقانع السائل... وإذا رضي قيل: قَنِعَ يَقْنَعُ قَنَاعَةً فهو قَنِعٌ وقَانِعٌ جميعا"[44].

وفي مجال بنية الكلمة وصيغتها نذكر نزول فصاحة عليّ بن الجهم عنده وكان يعده من الفصحاء إذ سمعه في مجلس محمد بن عيسى يقول عند انصرافه "إنّه بلغني شيء وأظنني مأزور في قعودي "فقال المبرد: نقص في عيني وإنما هو موزور"[45].

كما عاب على أبي نواس قوله[46]:

كَيْفَ لاَ يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللّهِ مِنْ نَفَرِهْ

"وهو لعمري كلام مستهجن موضوع في غير موضعه، لأن حق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن يضاف إليه، ولا يضاف إلى غيره، ولو اتسع متسع فأجراه في باب الحيلة لخرج على الاحتيال، ولكنه عسر موضوع في غير موضعه، وباب الاحتيال فيه أن تقول: قد يقول القائل من بني هشام لغيره من أفناء قريش: منا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وحق هذا أنه من القبيل الذي أنا منه، فقد أضافه إلى نفسه، وكذلك يقول القرشيّ لسائر العرب"[47].

وأنشد قصيدة لأبي شراعة القيسي ثم قال: "وهذه القصيدة لم يأت فيها بمعنى مستغرب وإنما قصدنا فيها الكلام الفصيح والمعاني الواضحة فهي وإن لم تكن كقول أبي نواس[48]:

أَمامَ خَمِيسٍ أُرْجُوَانٍ كَأَنَّهُ قَمِيصٌ مُحَرَكٌ مِنْ قَناً وَجِيَادِ
فَمَا هُوَ إِلاَّ الدَّهْرُ يَأْتِي بِصَرْفِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ يَشْقَى بِهِ وَيُعَادِي.

في البراعة والنقاء وحسن الرصف واستقامة المعنى، فليست في السقوط كقوله(49):

وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَى أَنَّهُ لَتَخَافُكَ النُّطَفُ التِى لَمْ تُخْلَقِ

وإن لم يكن كقول الطائي(50):

إِذَا افْتَخَرَتْ يَوْماً تَمِيمٌ بِقَوْسِهاَ حِفاَظاً عَلَى ماَ وَطّدَتْ مِنْ مُناَسِبِ
فَأَنْتُمْ بِذِي قاَرٍ أَماَلَتْ سُيُوفَكُمْ عُرُوشَ الذينَ اسْتَرْهَنُوا قَوْسَ حاَجِبِ

في صحة المعنى وحسن الاستنباط ولطافة الغوص فليس كقوله(51):

تُثفَّى الحَرْبُ مِنْهُ حِينَ تَغْلِي مَرَاجِلُهاَ بِشَيْطاَنٍ رَجِيمِ

فجعل الممدوح هو الشيطان.

وإنما ذكرنا اثنين قد أومئ إلى كل واحد منهما في وقته وأغرق في وصفه لتعلم ما في المخلوقين من النقص وأن لكل واحد المذهب والمذهبين ونحو ذلك تم يجتذبه ما فيه من الضعف لتعرف مواقع الاختيار وموضع المطلوب من قول كل قائل، إما لفصاحة وإما لإعراب في معنى وإما لسوق لطيف تبين فيه حذقه وما أشبهه متبع مطلوب به"(52).

إن الشعر المحدث لا يمكن إهماله وهو قوام الحياة الأدبية والاجتماعية في عصره وقد رأينا موقف العلماء منه بين متعصب للقديم أو متعصب للمحدث، أما المبرد فقد اتخذ الإجادة مقياسا لتفضيله واستحسانه وحاول أن يكون موضوعيا منصفا في موقفه من الشعر المحدث.

الهوامش:

(1) ينظر: طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر:32- 33

(2) الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، ط الساسي، تصحيح الشنقيطي، مطبعة التقدم بمصر:348/7.

(3) منهاج البلغاء، حازم القرطاجني: 143.

(4) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 442/1968:3

(5) الموشح، المرزباني، تحقيق البجاوي، دار النهضة، مصر، 1965: 384

(6) المصدر نفسه: 329.

(7) الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر:130/3.

(8) نزهة الألباء، أبو البركات الأنباري، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المدني: 87.

(9) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب بمصر، إحسان عباس، ط3، 2001، دار الشروق للنشر والتوزيع: ص 95.

(10) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، نشر دار الثقافة، بيروت، 1964م: 02.

(11) المصدر نفسه:02

(12) أخبار أبي تمام، أبو بكر الصولي، تحقيق عساكر، عزام نظير الإسلام، التأليف والترجمة، القاهرة، 1937: 10/7

(13) ينظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962م: 168/3

(14) طبقات الشعراء ابن المعتز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر:197- 200.

(15) الكامل: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، دار نهضة مصر، ط1، المقدمة

(16) المصدر نفسه، 29/1

(17) المصدر نفسه

(18) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار المأمون طبعة إحياء التراث العربي:121/19

(19) المثل السائر، ابن الأثير، تحقيق الحوفي، طبانة، مكتبة نهضة مصر، 1955: 13/2

(20) الكامل: 3/2

(21) المصدر نفسه

(22) ينظر: الثابت والمتحول، أدونيس دار العودة بيروت، ط3، 1980.: 173/2

(23) ينظر: الثابت والمتحول: 153/2

(24) التعازي والمراثي، المبرد، تحقيق الديباجي، مطبعة زيد بن ثابت، بيروت، 1975: 152

(25) الكامل: 129/3.

(26) ديوان النابغة الذبياني، الأبيات لم أحبها في الديوان

(27) الكامل: 101/2.

(28) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: 79.

(29) الأغاني: 183/20.

(30) الكامل: 29/1.

(31) المصدر نفسه: 61/4.

(32) ديوان أبي نواس، مطبعة جمعية الفنون، 1201هـ: ص 10.

(33) الكامل: 17/2.

(34) الثابت والمتحول: 181/2.

(35) الكامل:14/2

(36) أخبار أبي تمام: 202.

(37) المصدر نفسه:203

(38) المصدر نفسه:96

(39) المصدر نفسه: 97.

(40) المصدر نفسه: 97.

(41) الثابت والمتحول: 181/2.

(42) ينظر: أبو العباس المبرد، محمد عبد الخالق عضيمة:55

(43) الموشح: 405- 406.

(44) المصدر نفسه: 457.

(45) المصدر نفسه: 528.

(46) ديوان أبي نواس، ص 11.

(47) الكامل: 17/2.

(48) ديوان أبي نواس، ص 16.

(49) المصدر نفسه.

(50) شرح ديوان أبي تمام، الخطيب التبريزي، قدمه ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر العربي، دار الكتاب، ط2، 1414هـ/1994م: ص 115، والبيتان بلفظهما وتمامهما:

إِذاَ افْتَخَرَتْ يَوْماً تَميمٌ بقَوْسِهاَ وَزَادَتْ عَلىَ ماَ وَطَّدَتْ مِنْ مَناَقِبِ

فَأَنْتُمْ بِذي قاَرٍ أَمالَتْ سُيُوفَكُمْ عُرُوشَ الذِينَ اسْتَرْهَنُوا قَوْسَ حاَجِبِ

(51) نفسه: 78/2.

(52) الموشح: 220.